مجنون وحالم وقروي وقروي مشروعهم غزو الغرب

ملحق النهار ٩ آيار ١٩٧١

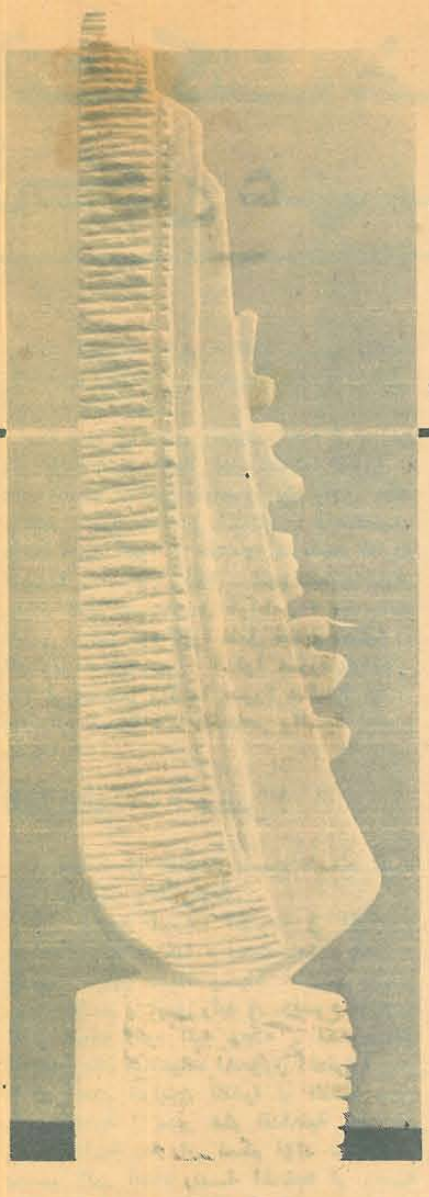

الفريد بصبوص الحالم الصامت .

بقلم مروان ملكون

□□ راشانا ، قرية الاخوة بصبوص الثلاثة ، متحف الهواء الطلق الذي عرّف الكثيرين من اللبنانيين وضيوفهم على وجه طليعي للبنان الجديد يختلف عن « مدقة العرق ورقصة الدبكة واكلة التبولة » ، راشانا القرية الهادئة على منحدر جبل البترون ستنتقل بمئة منحوتة ومنحوتة منها الى العاصمة الفرنسية حيث ستحتل بين ١٤ ايار ونهاية حزيران مساحة الفي متر مربع من « هال دو بالتار » (الجناح العاشر) .

الحدث بحد ذاته ثورة في عقلية دولة آلفنا منذ بعيد غيابها الثقافي . فللمرة الاولى تحاول مؤسسة رسمية هي « المركز الوطني لانماء السياحة » كسر طوق تقديم لبنان بصورة بلد سياحي فولكلوري اثري وتستند في نشاطاتها على تظاهرة ثقافية فنية من تربتنا .

يقول جيرار خوري ، رئيس « مكتب السياحة اللبناني » في باريس : « ان عملية اختيار اعمال ميشال والفريد وجوزف بصبوص لم تات نتيجة مفاضلة مع سائر النحاتين اللبنانيين ، وبينهم اصدقاء لنا نؤمن بنتاجهم، انما فرضته هوية مغامرة الاخوة بصبوص . فالشيء الذي اغرى السيد روجيه فيل ، المسؤول الاول عن « هال دو بالتار » ، هو كون مغامرة الاخوة بصبوص تضم اعمالا لثلاثة نحاتين اخوة يعملون في قرية لبنانية حولت الى متحف في الهواء الطلق . ومثل هذا الامر نادر ومشوق ومثير . ثم هناك طبعا اقتناع السيد فيل بقيمة اللبنانيين الفنية » .

ولدت فكرة المعرض عند جيرار خوري وسامي كركبي وهما يستمعان لمعزوفة فرانسوا بيل الجديدة ، المستوحاة من مغارة جعيتا ، بعنوان : « جعيتا ، وشوشة المياه » ، ليلة ٤ شباط الفائت ، في « الهال دو بالتار » . وتساءلا : لماذا لا نقيم معرضا للنحت اللبناني هنا في المكان ذاته ؟ وعرضت الفكرة على روجيه فيل الذي احتفظ منها بمبدأ اقامة معرض لثلاثة نحاتين اخوة . وساهم المؤلف الموسيقي فرانسوا بيل بالاقناع هذا مدفوعا بصداقته للبنان الذي زاره في كانون الثاني ١٩٦٩ ، يوم افتتح بموسيقاه « اوديتوريوم » جعيتا .

« الوطن لا راشانا »

افتتاح المعرض سيكون في السادسة من مساء الخميس ١٣ ايار بحضور نحو الف مدعو من باريس الفن والثقافة والمجتمع . وفي ١٤ ايار ستبدأ زيارة الجمهور الكبير لاعمال الاخوة بصبوص بعدما عمد « مكتب السياحة اللبناني » الى ارسال ١٥٠٠ دعوة مجانية و٢٠٠٠ دعوة بنصف ثمن للمعرض تؤهل حاملها دخول المعرض طول مدة اقامته . والمعروف ان الفرنسيين يدفعون ثمن بطاقة زيارتهم المعارض الفنية . ويدفع الفرد ما يعادل الثلاث ليرات لبنانية للتفرج العادي وليرة ونصف الليرة اذا كان طالبا او يحق له الاستفادة من بطاقة بنصف ثمن . كما ان « مكتب السياحة اللبناني » بعث برسائل عدة الى مؤسسات رسمية وخاصة ، من مدرسية ، جامعية ومهنية ، لاعلامهم بتواريخ المعرض في « الهال دو بالتار » .

وينتظر جيرار خوري ، اذا نجحت هذه المحاولة الاولى ، ان تتبنى الدولة هذا النوع من التظاهرات في برامجها المقبلة وتعممه على مختلف نشاطاتها الدعائية خارج لبنان . كما ان لا ريب في ان المعرض سيستفيد من سلسلة البرامج الاذاعية والتلفزيونية التي بثت من لبنان (وعنه) الى فرنسا من لبنان بمناسبة اسبوع « الاو. ار. ت. اف » عندنا والذي انتهى مساء ٤ آيار الفائت . انما لا يجب الظن ان مثل هذه التظاهرات تنظم بسهولة . كما انه لا يجب ان نتناسى الصعوبات العديدة (والتي هي غالبا غير فنية) التي تعترض اي نشاط عربي في اية مدينة عالمية ، وخاصة غربية . انما ذلك لا يؤلف مانعا لنا لمحاولة كسب انتصار ثقافي يستفيد منه الفنان اللبناني والعربي . ويرفض ميشال بصبوص اعتبار « محترف راشانا » هو الرابح الوحيد من وراء معرض باريس وظهور مئة منحوتة ومنحوتة له ولاخويه مختارة من بين نحو ٦٠٠ منحوتة مرشرشة في هواء قريتهم الطلق . « ان نجاح الوطن بواسطة الثقافة اهم من نجاحه باشياء اخرى . ويجوز ان ينتج عن معرضنا في باريس تهيئة بعض المناخ للفنانين اللبنانيين لاظهار اصالة تجاربهم الحديثة ثم برهان ان قلقنا الفكري والثقافي والحضاري لا يختلف قيمة وتعبيرا عن غيره في عالمنا الحديث » .

وينتظر ميشال بصبوص ان يستقبل النقد الباريسي المعرض بآراء متناقضة . لكنه بصورة عامة متفائل . ويؤكد ان اعماله اقوى جواز سفر له لدخول ميادين الفن الدولية . « ان الاربعة والاربعين عملا المرسلة الى « الهال دو بالتار » هي من انتاج الخمسة اعوام الاخيرة . ويبدو لي انها تختصر نوعا ما مغامرتي الفنية بميزاتها وابعادها من دون ان يكون اسلوبها نهاية المطاف . امامها اشعر بنبرة حجرية ناضجة ، اي بكثير من الثقة في الذات . ولذا ارى نفسي حرا امام تجربة باريس القريبة . غريب كم تبدل وقع باريس على نفسي الفنية . منذ ١٥ سنة كنت افكر في باريس بشيء من الرهبة . كميزان النجاح والسقوط . انني اذهب الان اليها دون اي انفعال الا المألوف منه قبل اي معرض » . ويعلق الفريد بصبوص : « سفرتي الاخيرة قبل شهرين الى باريس ولندن اظهرت لي اننا غير متاخرين عن غيرنا . قبل رحلتي هذه كنت خائفا من الخروج الى المواصم الثقافية . وعندي اقتناع الان ان عندنا المستوى ذاته ان لم نكن ذهبنا ابعد . ولذا اصبح عندي الجرأة في البحث في اقامة معرض في باريس » . أما جوزف بصبوص فيقول لمن معه : « لو انهم حذفوا تمثالا من تماثيلي السبعة عشر وارسلوني مكانه لكان ذلك افضل بالنسبة الي . فما هو مهم لي هو ان اشاهد انا باريس لا ان يشاهد الباريسيون اعمالي » .

مجنون وحالم وقروي

زائر راشانا يعرف حيدا الاخوة الثلاثة : ميشال « المجنون » والفريد « الحالم الصامت » وجوزف « الغريب القروي » . انهم ثلاثة من تربة واحدة . من حجر واحد بثلاثة ملامح . من رؤية تمتاز بتحاور مستمر بين الثلاثة ومع ذلك منفتحة عند كل منهم على ذاتية مستقلة. انهم ثلاثة نحاتين يصقلون احلامهم بعناد المؤمن بالشيء المندمج فيه حتى الامتزاج الاخير . ولذا ثلاثتهم ثابروا في « قلقهم الفني » برغم الصعوبات والتنكر التي يلتقي بها كل فنان يمارس مهارته واصالته في « وطن التجار والموظفين » . وما علم احد بمغامرة الراشانيين الثلاثة الا تحمس لها . وآخرهم روجيه فيل منظم معرض باريس في « الهال دو بالتار » ورئيس لجنة « البناء والفكر الانساني » المسؤولة عن ادارة « الهال » حتى نهاية حزيران . وكتب فيل في مقدمة البرنامج الذي سيباع (كما هو مألوف في المعارض) عند مدخل المعرض : « ما ان اكتشفنا راشانا حتى تحمسنا لها . انها ثمرة الرجال . ثمرة امتزاجهم بعضهم مع بعض . ثمرة التصاقهم بالحجرة والخشبة والطين ... هناك، نحاتون وفلاحون غرفوا من الينابيع ذاتها لبناء عمارة راشانا . متحف في الهواء الطلق ، مسكن غير محدود او مركز للمألوف ، هذه هي راشانا الفنانين والمهندسين ، راشانا الانسان » .

مهرجان

معرض ١٤ ايار في باريس سيجعلهم يجابهون معا تحت شعار « راشانا ، متحف الهواء الطلق » المخالب الدولية التي للنقد الباريسي . وعمل الجانب اللبناني كل الممكن لتامين نجاح الاخوة الثلاثة . أطلقت دعاية قوية ووزعت ملصقات يقارب عددها خمسة الاف ملصقة (وضعها ابرهيم عيد) على انحاء العاصمة الفرنسية وفي بعض المدن الكبيرة . وستخصص اركان اذاعية وتلفزيونية طويلة للكلام عن الراشانيين . كما انه تم وضع كاتالوغ غني بالنصوص والصور صممه ايضا ابرهيم عيد . وهو يحتوي على مقدمة لروجيه فيل وتعريف لسامي كركبي (من المجلس الوطني لانماء السياحة) وقصيدة مستوحاة من فن النحت للاديبة اندريه شديد . وفي محاولة جريئة لخلق أجواء مرئية سمعية محركة لاعمال الاخوة بصبوص سيعرض زهاء الف « سلايدز » من مناظر راشانا ولبنان على ثماني شاشات كبيرة موزعة في مكان المعرض . وستبث باستمرار بين السادسة والثامنة مساء موسيقى لفرنسوا بيل وبارمدجياني كتبت خصيصا للمعرض .

وسيتوسط المعرض سلسلة من التظاهرات الفنية والراقصة (باليه حديثة) والثقافية والمعمارية تجري كلها في الجناح العاشر من « هال دو بالتار » . منها : معرض معماري بعنوان : « تقنيات متقدمة » ترافقه حلقات دراسية تعقد جميعها ما بين ١٧ و٢٢ آيار. أمسيات مسرحية اختبارية يحييها « المسرح التجريبي الياباني » (في طوكيو) و « فرقة طوون » البلجيكية (من بروكسيل) التي تخرج للمرة الاولى من وطنها . امسيات رقص باليه حديث طليعي لكارين فانير التي تحدثت عنها كثيرا الصحافة الفرنسية خلال « مهرجان افينيون » لصيف ١٩٧٠ . ومسرحية « الرجل الذي يضحك » لفكتور هوغو تقدمها فرقة « مسرح باريس الشرقي » . ومسرحية « الشذوذ والقاعدة » لبرتولد برشت . وأخيرا تسع حفلات موسيقية بينها ثلاث تقيمها مجموعة « الاو. ار. ت. اف » الاختبارية بقيادة فرنسوا بيل .

الاخوة بصبوص الثلاثة في الجناح العاشر من « هال دو بالتار » ، أي ١٢ طنا من المنحوتات نقلت الى هناك بواسطة مساهمة شركتي النقل اللبنانيتين : الميدل ايست والتي، أم، اي . واقدام « المجلس الوطني لانماء السياحة » على التحرر من عقدة لبنان الفولكلور والاثار . أي من اللعبة الصالونية التي كادت تبعده عن وظيفته الاساسية وهي رفع القناع عن اصالة اللبنانيين الحضارية . وتجب الاشارة هنا الى ان تظاهرة الاخوة بصبوص مهما اتت جريئة وايجابية تظل غير مفيدة ، محصورة الفائدة ، ان لم يتبعها في المستقبل القريب تظاهرات متشابهة لمختلف النشاطات الثقافية اللبنانية □